

تفسير سورة المائدة 27-31

سورة المائدة 27-31

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً أَبْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرِبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقْبَلْ مِنِ الْآخِرِ قَالَ لَلَّا قُتْلَنَا كَقَالَ إِنَّمَا يَتَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقِينَ} (27)

قال ابن كثير: يقول تعالى مبيناً وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم، في خبر أبني آدم لصلبه في قول الجمهور، وهمما قabil وهابيل كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله، بغيًا عليه وحسداً له، فيما وله الله من النعمة، وتقبل القريان الذي أخلص فيه لله عز وجل، ففاز المقتول بوضع الآثم والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين. انتهى

قال تعالى: {وَاتْلُ} واقرأ يا محمد {عَلَيْهِمْ} على هؤلاء البغاء الحسدة إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم {نَبَأُ} خبر {أَبْنَى آدَمَ} {لَصَلْبِهِ} {بِالْحَقِّ} أي بالصدق، والأمر الذي لا ليبس فيه ولا كذب، ولا وهم ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان.

ولا يصح في تسميتها هابيل وقابيل شيء، فالله أعلم باسميهما {إِذْ قَرِبَا قُرْبَانًا} {للله تبارك وتعالى، القريان: ما يُقرب به إلى الله تعالى؛ كالصلاوة والصيام والذبح والصدقة. والله أعلم بنوع هذا القريان، لا يصح فيه شيء} {فَتُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقْبَلْ مِنِ الْآخِرِ} {الذي لم يُقبل منه لذبي تُقبل منه} {لَلَّا قُتْلَنَا} حسداً منه لأخيه وبغيًا {قَالَ} الذي تُقبل منه {إِنَّمَا يَتَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ

الْمُتَّقِينَ } الذين يخافونه بأداء ما كلفهم من فرائضه، واجتناب ما نهاهم عنه من معصيته.

{لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيْيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أُنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِلأَقْتَلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} (28)

{لَئِنْ بَسَطْتَ} أي: مدلت {إِلَيْيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أُنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِلأَقْتَلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} أي امتنع عن قتل أخيه؛ لأنه يخاف الله فيه، فقتل النفس ظلماً محظوظاً.

قال أهل العلم: يعني إن بدأته بالقتل لم أبدأ بقتلك، ولم يعنني أنني لا أمنعك عن قتيلي، ولن أدفعك عن قتيلي، فمنع الإنسان القاتل عن نفسه بقدر وسعه واجب.

وقيل: من أراد مسلم قتله ظلماً؛ فله أن يدفع عن نفسه قوله أن يستسلم. وتحرير هذه المسألة في موضوع آخر.

{إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} (29)

{إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ} ترجع {بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ} أي: بإثتم قتلي إلى إثتك، أي: إثتم معااصيك التي عملت من قبل، هذا قول أكثر المفسرين {فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} فتكون بقتلك إياي من سكان الجحيم، ووقود النار} وذلك جزاء الظالمين} فخوفه بالنار؛ فلم ينته ولم ينذر. قال أهل العلم: دل هذا على أن القتل -أي ظلماً- من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار.

{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (30)

{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ} أي نفس الذي يريد قتل أخيه: فحسنت

وسولت له نفسه وشجعه على {قتل أخيه فقتله فأصبح} {فصار بقتل أخيه} {من الخاسرين} أي في الدنيا والآخرة. وقد سن هذه السنة لكل قاتل، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها وزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» أخرجه مسلم.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَلَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلَ كَفْلٌ مِنْ دَمَهَا، لِلَّذِنْهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَ الْقَتْلَ» متفق عليه. فهذه خسارة عظيمة نسأل الله السلامة.

{فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيهِ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ
قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْأَةَ أَخِي
فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} (31)

لما قتل أخاه لم يعرف ماذا يفعل بأخيه الميت **{فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيهِ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ}**
يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ {أي يحفر في الأرض، فيثير ترابها} **{لِيُرِيهُ كَيْفَ يُوَارِي}** {يستر} **{سَوْأَةَ أَخِيهِ}** أي: جيفته، فلما رأى القاتل ذلك **{قَالَ يَا وَيْلَتَا}** كلمة تقال عند الندم والتحسر **{أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}** قيل: على حمله على عاتقه لا على قته، وقيل: على فراق أخيه، وقيل: ندم لقلة النفع بقتله فإنه أسلط والديه، وما انتفع بقتله شيئاً، ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب.